

القَصَصُ الدِّينِي
الحلقة الأولى
قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ

نَاقَةُ صَالِح

عبد الحميد جودة السحار

بعد هلاك قبيلة عاد - قوم هود - لم توجد قبيلة
 مثلها قوية غنية ، إلى أن ظهرت قبيلة ثمود ، في
 شمالي بلاد العرب ، في جهة تسمى الحجر ، وهي
 بين المدينة المنورة والشام .

هذه القبيلة كانت تعيش في وادٍ خصيب ، تنبت
 فيه الحقائق المثمرة اللطيفة ، والمزارع الخضراء
 الواسعة ، وبساتين النخيل التي تمتد مسافات كبيرة ،
 وتطرح بلحا ، وتمرا لذيذا حلوا سريع الهضم .

وقد بنوا القصور في أرض الوادي ، ونحتوا في
 الصخر في الجبال المحيطة به بيوتا كاملة ، كل
 حوائطها وسقفها وأراضيها صخر متين ، لا يهدم
 ولا يتحطم .

وعاشوا عيشة ناعمة في رغدٍ وهناءٍ فترةً
طويلةً ، حتى نسوا الله الذى أعطاهم كل هذه
النعم ، ونحتوا من الصُّخور أصناما وعبدوها ،
واعتقدوا أنه ليس هناك آخرة ، ولا ثواب ولا
عقاب ، وأفسدوا فى الأرض وضلُّوا .

عند ذلك أرسل الله إليهم رجلا منهم اسمه صالح .
وكان رجلا طيبا عاقلا ، وكلَّهم يعرفونه ، وذلك
ليرشدهم إلى عمل الخير وترك الظلم والفساد ،
وعبادة الله وحده ، وترك عبادة الآلهة الكاذبة التى
يعبدونها من دون الله ، لأنَّ الله هو الذى أعطاهم
كل هذه النعم ، وجعلهم أقوى قبيلة وأغناها بعد
عادِ قوم هود ، الذين هلكوا عندما عصوا الله
وكفروا بنعمته .

جَمَعَ صَالِحٌ قَوْمَهُ وَقَالَ لَهُمْ :

- يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ،
وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادَ ، وَبَوَّأَكُمْ مِنْ
الْأَرْضِ (أَيْ أَعْطَاكُمْ الْأَرْضَ) تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا
قُصُورًا ، وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا . فَاذْكُرُوا آلَاءَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ (أَيْ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) وَلَا تَعْشُوا فِي
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (أَيْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) .

قَالُوا : يَا صَالِحُ ، أَتَأْمُرُنَا أَنْ نَتْرُكَ عِبَادَةَ الْآلِهَةِ الَّتِي
وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَعْبُدُونَهَا ؟

قَالَ لَهُمْ : إِنَّ هَذِهِ الْآلِهَةُ لَا تَعْطِيكُمْ شَيْئًا ، وَلَا
تَأْخُذُ مِنْكُمْ شَيْئًا . فَكَيْفَ تَعْبُدُونَهَا وَهِيَ لَا تَضُرُّكُمْ

ولا تنفعُكم ؟ ألا تفكرون بعقولكم قبل أن تعبدوا ما كان يعبدُ آباؤكم ؟

عند ذلك آمن به جماعةٌ من قومه ، وهم من الناس الفقراء الطيبين ، الذين لا يتكبرون ولا يعاندون ، أما الأغنياء الظلمة فقالوا :

- يا صالح ، لقد كنّا نحترِمُك قبل أن تقول هذا الكلام ، وتطلبَ منا أن نتركَ آلهتنا وآلهة آبائنا ؛ ولكن خاب ظننا فيك ، ولا بد أنك أُصِبتَ بالجنون .

قال : يا قوم إننى لست مجنوناً ، وما أريدُ إلا هدايتكم ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر ، إنَّ أجرى إلا على ربِّ العالمين . وقد آمنَ الناسُ الطيبون ، فلماذا لا تؤمنون ؟

قال الملأ الذين استكبروا من قومه ، للذين

اسْتَضِعُّوْا وَآمَنُوا مِنْهُمْ : اَتَعْلَمُوْنَ اَنْ صَالِحًا مُّرْسَلٌ
مِنْ رَبِّهِ ؟

قالوا : اِنَّا بِمَا اُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ .

قال الذين استكبروا : اِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ
لَكَافِرُونَ .

٣

ولم يَسْكُتْ صَالِحٌ ، فَكَانَ كُلُّمَا قَابَلَ وَاحِدًا أَوْ
جَمَاعَةً مِنْ قَوْمِهِ يُرْشِدُهُمْ وَيَنْصَحُهُمْ ، فَبَعْضُهُمْ يُؤْمِنُ ،
وَبَعْضُهُمْ يَكْفُرُ .

وَكَانَ الْكَفَّارُ يَقُولُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ : هَلْ تَظُنُّونَ اَنْ
الْكَلَامَ الَّذِي يَقُولُهُ صَالِحٌ صَحِيحٌ ؟ وَاَنْ هُنَاكَ اِلَٰهًا
يُحْيِيْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ اَنْ نَمُوتَ ، وَيَحَاسِبُنَا عَلٰى
اَعْمَالِنَا فِي الدُّنْيَا ؟ لَا .. لَا تُصَدِّقُوا ، فَاِنَّا لَا نَعِيشُ

إلا مرة واحدة في هذه الأرض ، فإذا متنا فلن نحيا مرة أخرى .

كذلك كانوا يقولون لهم : لا تصدّقوا صالحا فقد كان رجلا عاقلا ولكنه أصيب بالسّحر ، وأصبح مجنونا ، يقول كلاما غير معقول ، فلا تصدّقه .

أما صالح فكان يقول للناس : لا تطيعوا الأغنياء المفسدين المتكبرين ، وتعالوا معي ليرضى الله عنكم ، ويترك لكم النعم التي أعطاهم لكم ، نعم الحقائق والزروع ، والقصور والبيوت .

ولما كثر الكلام بينهم وبين صالح قالوا له :
— إذا أردت أن نؤمن برّبك ، فأظهر لنا معجزة ، تدل على أنك رسول من عند الله ، فكل الأنبياء الذين قبلك جاءوا للناس بمعجزة تدل على صدقهم فيما يقولون .

دعا صالحُ ربَّه أن يعطيه معجزة ، تدلُّ على أنه نبيُّ
ورسول ، وقال :

- يا ربِّ ، إن قومي كذَّبُوني ، ولم يؤمن بي منهم
إلا قليل ، أما الآخرون فقد سمعوا كلامَ الأغنياءِ
المستكبرين . فأعطني معجزةً يصدق بها الجميع .
قال له ربُّه : قلْ لقومك يجتمعوا عند الصخرةِ
العظيمة خارج المدينة . وهناك ستظهر لهم المعجزة ،
وستكون ناقةً ضخمةً جداً ، لم يروا مثلها ناقةً من
قبل ، ضرعها ملىءٌ باللبن الذي لا ينتهى أبدا مهما
حلبوا منه .

ولكن اشترط عليهم شرطين اثنين : أن يتركوا لها
الماء كله يوماً ، ويشربوا منه يوماً ، فهذه الناقة

ستشرب من الماء قدرَ ما يشربون هم جميعا .
وعاد صالحٌ إلى قومه فأخبرهم ، ودعاهم أن
يخرجوا إلى الجبل ، وينتظروا ظهور المعجزة هناك ،
على الشروط التي شرطها الله عليهم .
فأما المؤمنون من قومه ، فقد فرحوا لهذا الخبر ،
وقالوا : إنَّ الله سيظهر الحقَّ ويؤيد نبينا صالحا
والذين آمنوا معه .
وأما المستكبرون الكفار . فقالوا : كلامٌ فارغ !
وجنونٌ كامل . وهل يُمكن أن تكون هناك ناقةٌ
تشربُ هذا المقدارَ العظيم من الماء ، وضرعُها لا
يجفُّ من اللبن ؟ ألم نقل لكم : إنه مجنون ؟
وأما بقيةُ الناس فقالوا : هيا بنا إلى الجبل لنرى
صديقَ صالح من كذبه . ونتأكد إن كان نبيا مرسلا ،
أم رجلا مجنونا .

وخرج الجميع إلى الصخرة ، ووقفوا ينتظرون .



ونظر الجميع فإذا بالناقة تخرج عليهم ، وهي
تحدث رغاءً عاليًا ، وتسير أمامهم وقد اصطفوا صفًا
طويلاً ، وهم ينظرون إليها في دهشة واستغراب ،
ويروون ضرعها مليًا باللبن .

وكانت النساء قد أحضرت القدور لحلب اللبن ،
فتقدمت واحدة تحلب حتى يمتلئ إناءها ، والضرر
مليء باللبن كما كان .

ثم قصدت الناقة إلى الماء الذي يشربون منه ، فلـ
ترفع رأسها حتى شربت آخر نقطة منه ، وهـ
ينظرون ويتعجبون .

عندئذٍ صاح الناس : صدق صالح . صدق
صالح . إنه رسولٌ من عند الله ، وهذه ناقة الله .
وأما المتكبرون الكفار فقد اغتاظوا غيظاً شديداً ولم
ينطقوا بكلمة واحدة ، وازرقت وجوههم من
الكمَدِ والألم ، وانصرفوا .

٦

عاشت الناقة العجيبة بين قوم صالح ، تأخذ منهم
الماء يوماً وتتركه يوماً ، وفي نظير ذلك تُعطيهم اللبن
الذى يريدونه لهم ولأطفالهم ، ولا يجفُّ ضرعها من
اللبن أبداً .

وصالح مسرور ، يقول للناس : هذه ناقة الله لكم
آية . فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها
بسوءٍ ، فيأخذكم عذابٌ يومٍ أليم .

وكان في المدينة تسعة من المفسدين ، يعملون
أعمالا رديئة ، ويفسدون في الأرض ، ويشربون
الخمر ، ولا يؤمنون بالله .

وفي ليلة اجتمعوا وسكروا وقالوا : لا يجوز أن
نترك صالحا وناقته هكذا . فهذه الناقة تضايقنا ،
وتأخذ منا الماء ، وتحرمنا نصفه دائما . فتعالوا نقتلها
ونقتل صالحا وأهل بيته لنستريح منهم جميعا .
قال أحدهم : ولكن أقارب صالح سيأخذون الشر
إذا نحن قتلناه .

قال آخر : هناك حيلة أرشدكم إليها . نقتل الناقة
ونقتل صالحا وأهل بيته في ظلام الليل ، فلا يرونا
ولا نراهم بسبب الظلام ، فإذا سألنا أحدا من أقربائه
قلنا : نحن لم نبصره ولم نبصر أحدا من أهل بيته .
ونحن صادقون لأننا لم نبصرهم في الظلام ، وأقرباؤه
لم يعرفوا من الذي قتله .

وقبل الفجر ذهبَ أحدهم فرمى الناقة بسهم ،
 فصرخت صرخة عظيمة ، فسَمِعَهَا صالح ، فقام من
 نومه مفزوعا ، وجاءَ معه الناسُ الذين سمعوا صرخة
 الناقة ، فهرب التسعة المفسدون .
 ووجد صالحُ ناقته مقتولة ، فحزن حزنا شديدا ،
 وعرف أنَّ الله سيعاقب ثمود على فعلتها .
 وقد أوحى الله إليه أنَّ يأخذ المؤمنين معه ، ويبتعد
 عن المدينة ، لأنَّ الله سيهلك من فيها بعد ثلاثة أيام .
 فقال لقومه : لقد غضبَ الله عليكم ، وبعد ثلاثة
 أيام يحلُّ عليكم العذاب .
 ولما انقضت الأيام الثلاثة ، سمع الناسُ صرخةً
 عظيمةً هائلةً مخيفة ، فارتجفوا وخافوا ، حتَّى إنَّ

قلوبهم تَقَطَّعَتْ وسقطت من الرعب ، وانحنوا على
رُكَبِهِمْ من شِدَّةِ الألم ، وماتوا وهم على هذه
الصورة .

وبقيت منازلهم المنحوتة فى الصخور . شاهدة
عليهم ، وعلى ظلمهم وكفرهم ، والعذاب الأليم
الذى حلَّ بهم .